المكتبة الصغيرة

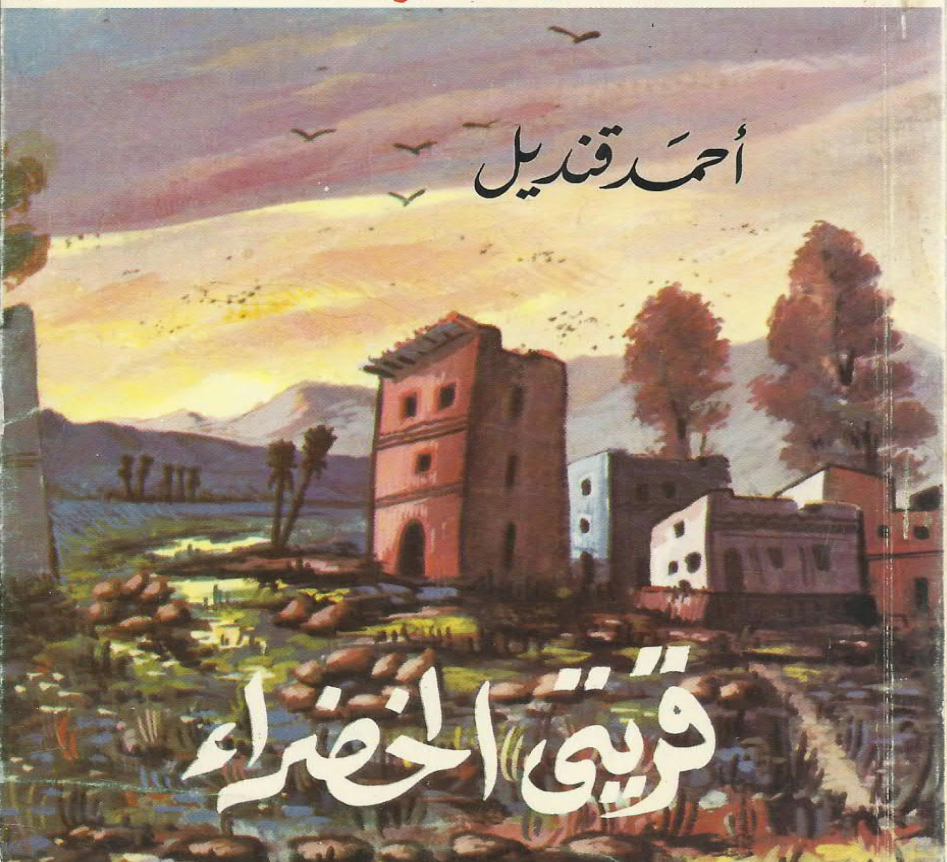

أحمد قنديل

قريتي الخضراء

المكتبة الصغيرة

١٠

قرية الخضراء

أحمد قنديل

قريتي الخضراء — صورة شعرية

الطبعة الأولى
١٣٩٣ هـ

الطبعة الثانية
١٣٩٨ هـ

الطبعة الثالثة
رجب ١٤٠٢ هـ
مايو ١٩٨٢ م

منشورات دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع

الغلاف : من اعداد الفنان محسن منصور
واللوحات من ريشة : ممـدوح أنـور

حننت لقريتـــى الخضراء ، بنت الشمس والبـــدر
ترفـــرف حولها الآصال ، أجنحـــــة من الـــــتبر
وتلـــعب بينها الأقمـــار ، وسط نجومهـــا الزهـــر
على عتبـــاتها ، نخطـــو ، وفى ساحـــاتها ، نجرى
تهدهدها بقلب ، هب ، أو أغفى ، على الشعر
مدلهة .. طواهـــــا الحب .. بين المد .. والجزر
وعـج بكـونها المسحـور ، نفـح الطيب ، والـنشر
فعـاشت ، كالهوى المبثوث بين الوجـــد والعطـــر
وعشناهـا ، كطفـل شب .. نهب غرامـه العـذري

نذوب يومهـا .. عطـــرا
ونسهـر ليلهـا .. شعـــرا
ويمشى .. بيننـــــا كبرا
تسامـــى .. حبها الأكبر
مديـد النـــور ، والنـــار !

حننت لقريتـــى الخضراء ، قد تدرى ، ولا تدرى
بما قد لج .. في قلبي وما قد أج ، في صدري
توارت .. غير شاعـــرة بما فى كوننـــا الشعـــرى
بوادى المحرم المحفـــوف ، بالـــريحان .. بالزهـــــر
من المدسوس فى الأعـــراق ، قد طال به عمـــرى
الى المنثور فوق السطـح ، بين الرمـل ، والصخـر
تصفـق حولها الأطيـار .. من نغـرى ، الى قمـرى
وتخفـــــــق صوبها الانسام ، رقت ، حيثما تسرى
توشوش ماءهـــا الرقـــراق ، وسط حقـــولها يجرى

فزاحـم دهرهـــا الدهـــرا
وعاش .. بقلبها ، سفـرا
قرأنـاه .. بها ، سطـــرا
رواه ثغرهـــا الأزهـــر ..
حديث الجار .. للجـــار !

حننت لقريتى الخضراء .. شاء فراقها دهرى
أطاول هجرها قربا مخافة سطوة الهجر
فجاء .. كطارق ليلا بها .. وبعاجل الأمر
فسرت ، وخطوتى قيد يرن بساحها الحر
وقد ودعتها .. خدرا ، وأودعت ، بها ، خدرى
يضم فريدتى، هيفاء ، ذات الحسن والطهر
ومزنة .. خدن ايامى لدى جهرى ، وفى سرى
وأمتعتى التى صانت بقايا اليسر ، للعسر
وقلبى واجف ، كالطير .. والبسمة فى ثغرى

أرقرقها .. هنا ، بشرى
وأزجيها ، هنا .. بشرا
وليس كقريتى أدرى
بما أخفى .. بما أظهر
حزينا .. ابنها السارى !!

ألا يا قريتـــى الخضراء ، ما غابت لدى سفـــرى
فصورتها معلقـــــة بقلبـــــى ، حاطهـــــا بصرى
لقـــد حدرت بالـــوادى على مهـــل .. وفى حذر
بمنـــزالى .. ومطلاعـــــى بتجـــــوالى لدى الحضر

أدبـــــر بينهم أمـــــرا
وأنشد عنك ، فى البندر
وحيـــــــدا .. دون خلانى

أسَائل ، ضائعاً ، فى اليم من يهزا ، ومن يسخرْ
فلا يدرى بنـــا أحـــد كأن النـــــاس فى المحشر

فمـا ستفسر عن شانى
ولا أهتم بأوطـــــــارى
أخ أكبر .. أو أصغـــرْ
وذنبى طول اعسارى !..

ألا يا قريتـــى الخضراء ، بالأغصان ، بالنـــــبت
وبالطيبـــة لا تعـــرف معنـــى الكـــره .. والمقت
لقد ضاقت بي الدنيا هنـا ، مذ غبت عن بيتى
نسيت مع الضحـــى غرضى وأنكـــرت المسا صوتى

وخـــفت السر والجهـــرا
حزينـــاً بين اخـــــوانى
وقـــد شاه بي المظهـــر
وان غاب بأردانى
جمال الـــــــــروح والخبر

فلـــلانسان فى دنيـــاه .. ما اعتـــاد ومـــا أبصر
من المألوف .. للطـــارى !

ألا يا قريتي الخضراء ، ليت الصبـــح قد أسفـــر
فقـد هاجت بي الأشواق طول الليـل ، لا تفتـــر
وحـامت حولي الأطيـاف ، تروى ذكـرك الأعطـــر
وتدعـــونى .. كأنى فيك ، للاسمار ، للقيلـــــهْ
ومالى عنك .. بالترحـال ، أم منك ، سوى مبلـه

مكثت .. بجدة .. يوما
وبَت .. بمكـة .. ليلـــهْ
كأنى عشتها شهـــــــرا
لهيفـــا – وسط تحنـــانى
أطالـع وجـــهك الأنـــور
فليـــــتك بين أحضانى
فليلى النـار .. أم أعكـــر

لظـــى ..
زادت بها نارى !

ألا يا قريتـــــى الخضراء .. فى كل مرائـــــــيك
لقد بت .. بما أذكيت .. من حبى ، أناجيك
أقبل طيفك استأناه . قلبـــى :. أو أناغـــيك
لأقطـــع ليلتـــــى السوداء .. ما بين مغانـــــيك
جهيدا .. مثل أحزانى
وحيدا هائب المثوى
بعيـــدا عن أراضيك ..
أنادى المشهد الغائب .. استـــــجلى به ما فاتْ
وأستعديه من سهدى ، على نومى ، وما هو آت
ومـــالى عادة أسهـــــــر
فسبحـــان الـــذي أسرى
بإحساسى ، بوجـــــدانى
لمن غرد ، أو صفـــــر فى الأغصان والثمـــــــر
لمن أنّ ، لمن غنَّـــى لدى البستـــان والشجـــــر
ومن طلّ .. وقـــد حنّ الينـــا ، طلـــة القمـــر
وقد أشرف .. واستكبر
وقد أشرف .. واستكبر
غيـــابى عنك .. عن دارى !!

ألا يا قريتـــى الخضراء .. عمـــا شئتـــه ، قولى
من المعقـــول قد أفضى لسرد .. غير معقـــــول
عن الورعـان ، والقطعـان ، والرعيـــان ، والغـــول
عن الجنى الـذى يعلـو مدى القمـة .. فى الطـول
وعـــن تينتنـــــا الـــــكبرى بها يزداد محصولى ..
عن الملهـــوف بالأحـــراء .. مربوطـــــا .. تحرانى
حمارى الذابـــل العيـــنين .. قد لاح .. لأعيـــانى
وعما صات ، عما صر ، عما دب .. فى ليلك
بجنـح .. فيـــه .. مسدول ..
كحس الـــديك .. والثعـــلب لم يظفـــر بمأمـــول
وغـــوث الشاة فى صوت بصوت الـــذئب موصول
عن الماعـــز قد تاهت ولم ترجـــع الى المرعـــــى
عن البـنت ، بقـربتها ، على كاهلهـــا ، تسعـــى
من البئر .. الى البستـان ، للـدار ، ومـن تدعـى
لقـــد طال بها المسعـــى ومـــا ضاقت به ذرعـــا
فمـــا زالت لنـــا رمـــزا
كما أشجـاك.. أشجـانى..

فقـــولى القـــول .. مجتـــرا ..
ووالى السرد .. والذكـــرا
به المطفأ كالـورای

عن الفتيـــــات ، يركضن لنبـــــع فيك معسول
وعـن أحلى بنـــات الحى سلمـــى أخت مقبـــول
وقـد فرحت بضحـــكتها لتبـــدى سنها اللـــولى ..

وعـن هيفـــاء ما قيست
بها.. فى عمرهـا، هيفـاءْ
أكاد أشم عطـــــــرتها
تفـــوح .. كوردة حمراء
وأبصر وسط راحتها
نضارة حمرة الحنـــاء ..
فهـــاتي كل ما عنـــدك .. من باد .. ومجهـــول
عن الشبان – والشيبان .. فى نقل – ومنقـول ..

وماذكروه .. عن سفرى
وعن أحوالك الأخرى
وشأنك أنت .. أو شانى !.
وعن وعد .. لدى دنياك .. من دنياك ممطول
وعدى القول .. من ثانى
فقد راقت لي الذكرى
بها المشهد .. والمحضر
وطاف بكونك المسرى
مع الماضى الذى أدبر
مع الماضى الذى أمسى
قديما .. باهت المنظر
توارت فيه أخبارى
وماتت فيه أسرارى !

أعيـــدى بعض ما قلتيـــــه عن أغلى أمانينـــــا
أجـــاك .. بعدنـــا .. مطـــر
تلفـــــع غيمـــــــه الجبـــــل
وأورق عنـــــــده الأمـــــــل
فتـاة .. بنـوره .. الطفـــل ..
وغنـــى الـــــزرع والراعـــى
وحـــوض حشيشنـــــا الأخضر
به البرسيم قد رفـــرف .. أو ماج ، كما البحـــــر
وفـــاض غديرنـــــا ، يمشى نهيرا .. راق ، كالنهر
فطـال النـــبت ، والـــعشرق طول الشبر أو أقصر
ورش أديمك الهتـان ، . كالـراح ، ومـــا أسكـــر
ففاحت ريحة الحنـاء .. والعرعـر
ورفرف حولك الريحان.. كالعـنبر
كنسمـــة فجـــرك الـــداني
يلاعبها الصبـــــــا الأعطـــــــــر
كلحـن بين أوتـار ..

ألا يا قريتى تيهى به ، عطرا وزفيه
لنـا .. معنـى الى المغنـــى ..
أشار لدربـــــه الـــــدرب
فحـــــنّ لنفحـــــه الصب
اليـه .. اليك .. يأتـــيك ..
ففـــى الـــريحان ما فيـــه ..
وقـــــد نمنمـــــــه الحب
بوشي الحقـــــل .. يرويـــه
وقـــــد هام به القـــــلب
وغنـــاه .. وناجـــــاه ..
بلحـــن الوجـــــد .. لا يهدأ
ووافـــــاه .. وحيـــــاه
بطـــول الشوق .. لا يفتـــر
فتـاة بحقلـــه التيـــاه بالذكـــرى
تلاعبـه .. وتـنثر حولـه الزهـــرا

به الألـــوان .. زاهيـــة
بطـــوق شتـــــيتها الهاني
بما أزهـى .. ومـــــا نور
كمسرى الضوء .. لا يخبـــــو
بآصال .. من الحسن ... وأسحـار !
دقـوس ، فى يدي قزح على آفاقـــه .. يظهـــر
بألـوان .. وألـــوان
على الأجبـال ، نحسبـــه اذا ما كفكـــف الغيثـــا
نذيـر الغيث .. يشربـه ويوقفـه .. لنـــا ، ريثـــا
وقـــد لألأ .. رفرافـــا مع الأريـــاح .. هفهافـــــا
كرمح .. ضاء مرتجفـــا
جلتـــــه ذراع جبـــــار
كما اهتـــز .. بجاريـــــة
مشت فى يمها.. الصارى
كأحلامـــى ..
مبـــــــــعثرة ..
كقافيـة .. بأشعـارى !.

كثـــوب صغيرتى هيفـــاء .. عن هيفـــاء قد عبر
صقيـــلا ، لاعب الأكمام والذيـــل ، كما قدر ..
شريناه .. بعيـد الحج .. من عامين.. أو أكثر..
وفى موسمنـــا الآتى سنـــــقضى غيره .. وطـــــرا
اذا ما زرعنـــا المسقـــي طال بسوقـــه شجـــــرا
ولم تلـــعب به الأنـــواء.. يومـــا، أو بنـــا، مذرا
تبعثر جهدنـــا .. هدرا
وتسحـــق كد أعمـــار
وتمحق حلم ايسارى !.

أجيبى !. هل أتى مطر؟ غزيـر .. فى أراضينـا ؟
فغطـــى السفـــح ، والمسيـــال ، هدرا ، بوادينـــا
تصبب .. حول نافـذتى
وخـــرب بيتنـــــا الأسمر
بنينـــاه .. بأيدينـــا وقبـــل زواجنـــا الأشهـــــر
رقصنـا فيـه ، ما شينـا على الـــطيران .. والمزهـــر
وغنينـــــــا به المجرور .. والحدرى يحادينـــــــــا
بما أخفـى .. بما أظهـر
بجوف الليـل .. مفتونـنا بمن قال .. ومـــن كرر
يضيء .. بقاعتـى .. سحـــرا
وبيتـــــى ضاحك هانى
وقـــد ماج باخـــــوانى
فعانـقت به الشبـان .. من جار .. الى جار ..
وودعت به الضيفـــــان .. من سار .. الى سارى

أطـــيلي سرة الأحـــلام .. عن بيتـــى .. وأولادى
فمـا كالبيت .. بين الأهـل والأولاد .. من نادى
بنينـــــاه بطين الأرض .. طين الماء .. والـــــزاد
لنسكن فيـه .. زوجين .. كقمريـن .. في الـوادى
بعيديـــن عن الأمهـــات .. والآباء .. والحادى ..
عن الرائـح للبستـان .. وجـه الصبـح .. والغـادى
نعيـد اللثم .. بعـد اللثم .. ما يروى به الصادى
ويطـــوى بعضنـــا بعضا ، عنـــاق الآمن الهادى
كما الأغصان .. بين الـدوح .. قد لاحت كأزنـاد
كعصفورين .. فوق الفـرع .. راءى حبنـا الشادى
أراده .. وعـــــــــاداه
هوى .. ما ملـه البشر
ولا الـــــــــــطير ..
اذا ما زقـزق الـــطير ..
ولا الحجـــــــــــــر
فما ضل بدنياه .. معيـد .. تاه .. أو بادى ..

ولا العصفور .. يرمقنا
وترمقنا حبيبته ..
نحن .. كما هما .. فى الحب .. زوجان
وتعرق جبهتى السمرا
ويشرق خدها الأحمر
حياء .. منهما .. منك
وقد وافيتها .. تبكى
فأهديت لها.. فى الصبح.. للذكرى
هدية عرسها الكبرى
عفافا ... صنته ... عمرا
لها .. فى حينا .. تزهو
بمعناه .. عذاراه
ليوم العز.. لا العار..
فأقنته .. وأغلته
وصانته .. باكبار !.

ألا يا قريتـــى .. نامـــــى وعين الله ترعاكـــــى
فموعدنـا الغـد النامـــى نمو الفجـــر .. للباكـــى
يعـانى كربـــه .. سهـــرا
ويطـرد ليلـه .. ضجـــرا
وقـــد حن لملقـــاك ..
عدا .. فى الفجـر .. أن اذن للفجـر ...
منـادى المسجـد الأطهـر
وبعـــــد صلاتنـــــا الأولى بساح الحرم المكـــــي
الى المعـــــلا .. بلا ريب وللمعـــــلا بلا شك
سآتي الموقـــف الـــدانى
واكـرى مثـــل اخـــوانى
مطيـة عصرنـــا النـــارى !

سأركب موتـــــــــرا أحمر
طوى أمـــــاد نعمـــــــان
وماطـــل ، ولا أستذكـــــر
ولا ألقـــــــى .. كانسان
اليـــه .. نظـــرة تذكـــــر
الى تاريخنا .. ملقـــى كرمـــل تحت أحجـــار !.
سأسأل موترى التيـاه بالـركاب .. ألا يمطـل الوعـدا
وأن يرفق بالأحلام.. من نعمان.. فى المرواح فى المغدى
حيـاة .. مرهـــا .. دربـــا
وعشناهـــا المدى .. ذكـــرا
على الأيـــام لم تهجـــر ..
مشى .. كالبرق .. فى المسيـــــــال .. فى المعبر
بصوت الرعـــــد .. قد قهقـــــه .. واستـــــعبر
يمر الكـر .. كالأيـام ، أو يرقى ، كرا ، سهـــلا

فأحسبه من اللهفة .. يمشى للهدا .. مهلا
ولكن ان أتى المعسل .. واستذرى به ، ظلا
وفاء بركبه .. شرباً لمانا طيبا أصلا
صفوفاً .. حمن كالأطيار ، تبغى عنده نهلا

سأفلت .. دونهم .. وحدى
الى حيث أرى الأهل
ولن أجلس فى المقهى
لأبعث .. مثلما اعتدنا
بورع مثل حمدان
ضعيف .. أشعث .. أغبر
أتى لك .. حافياً .. يسعى
جهيدا .. وانيا .. أقشر
وفى أسماله عارى !.

ولكنـــى .. ولكنـــى ..
سأرسل طيرك الأخضر
أتـــــانى .. كى يخبرنى
بما كان .. ومـــا صار
خفيف الروح .. مثل الروح ، لا يكتم أسرارا
يفاغم لحيتى غردا .. حبيب القول .. مهـــذارا
فذلك خير مرسال لمثـــلك طار ، واستـــــبشر
ينـــاديك بألحانى ، ويـــــرقى فوق وديـــــانى
ويشدو باسمك الأشهـــــر
ويهتـــف :
أيها المعشر
لقد عاد لنـــا العـــانى
لقد عاد لنـــا .. ثانى
بقـــلب والـــه بالذكـــر ، بالأشعـــار معطـــــار
بدمـــع .. مثـــل ماء المزن .. فى عينيـــه مدرار
لقد عاد .. ومـــا أخبر
بعودتـــه .. سوى أمـــه

سوى قريتـــــه الخضراء ..
أتاهـــا .. فى الضحـــى .. يزأر
من الايحاش . والجوع .. لما استشعر
كوحش هائـــج .. ضارى ..
لقـــــد عاد ..
بكـــلّ الحب .. لا يضمـــر
وقـــــد جاء ..
ببـــعض الخير .. لا يذكـــر
ومـن أثوابـه .. تبـــدو بقايـــا أريـــل .. تظهـــر
أتى بالأرز والشاهـــى والقهـــوة .. والسكـــــر
بمنديـــــل الى هيفـــــا
جديـد .. لامـع .. أصفـر
وقـــد جاء الى مزنـــة .. تلقـــاه بما أسفـــر
بشوق منـــــه لا يحصر
وعطـــر .. لونـــه قانى
وذلك كل ما أحضر
لاهليـه .. كتـــذكار !.

أجل !. يا قريتـــى الخضرا
سآتيك الضحى .. رجلا
يحيـــــــى كل ما فيك
من الـــــطين الى المذر
من الأعشاب للثمـــــــر
لنـــور الشمس والقمـــر
سأكبر من صميم القلب ، حباً ، بين أيـــديك
وأحمد خالقى .. شكرا
وأنسى .. رحلة العمـــر
مشاها ، هائبا جدى وقد أحـــنت به الظهـــرا
وسار بها .. وخلفهـــا أبى ، لحفيـــــده ، صبرا
سأطـــويها .. سأطـــويها ..
سأطـــــــويها .. بأسمارى
بأحلامى .. بأفكـــارى !.
سأطويها ..
سأطويها .. بقلب الغيب ..
فى كهـــف من الزمـــــن
تلـــوذ بركنـــه المهجـــور .. أطيافـــاً .. بلا وسن

ليـــــوم ..
دار فى خلـــــــــدى
وجـــاس .. بفجـــره .. ولـــــدى
يقـــــــلب بعض أوراقى
ويقـــرأ كل أشعـــــارى
ويمشى
فى مراقى السحب
محفوفـــــــا بهالتـــــــه
ليسكن فوق هام النجم
مزهـــــواً بطلعتـــــــه
فتيـــــاً ..
أسمر اللـــــــــون ..
بهيّـــــاً
أسود الـــــــــعين ..
يجود بمثلـــــه وطنـــــى
له الاكليـــل من غار !

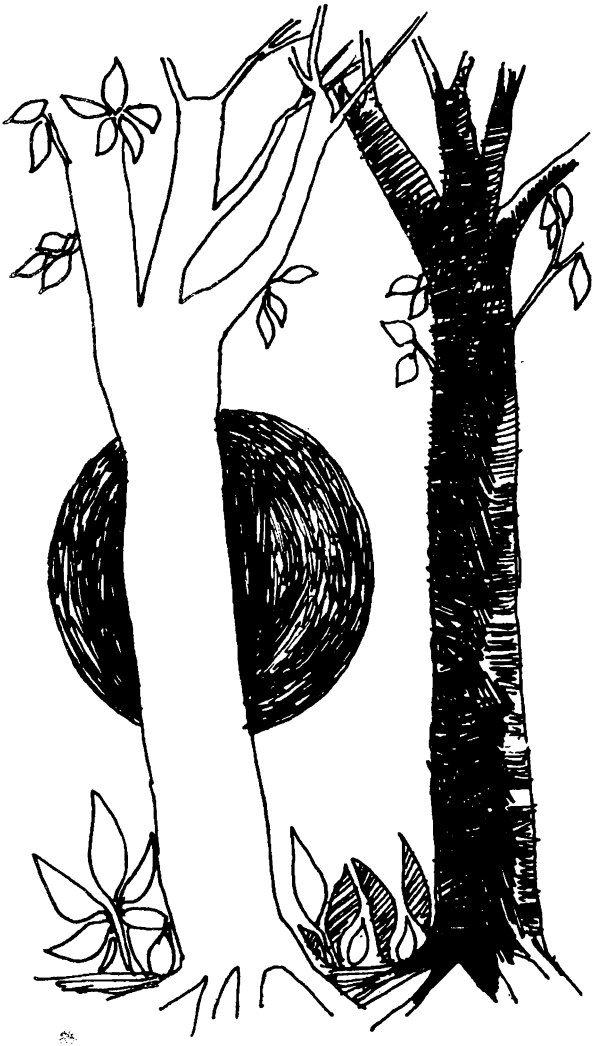

أجل !. يا قريتى الخضراء بنت الشمس والبـــدر
غداً ..
فى فيتـــى .. ظهـــراً
وبين الجمـــــر .. والتمر
أكـــون .. مشمـــــر الأكمام .. والمحراث لا يهدأ
فقد أصبح لى .. كفاً
وأصبحت له .. زندا !.
سأبقى فيك .. أيامـــى
مضت.. لا تعرف العدا
أجوس بأرضنا .. بكرا
أراعيها .. وترعـــــــانى
وأسعى .. وسط بستانى
به المشمش .. قد أزهر

وفـــاح بعطـــر رمـــانى
وأعنـابى .. شذا العـــنبر
أردِّد فيك ألحانى ..
وجنبـى كلبنـا .. عنتـــر
يشمشم فضل أردانى
ويـــــــــلثم ثوبي الأحمر
ويمضغ ذيلـــــــــــه الأغبر
ويجرى .. كلما لاحت له هيفـاء . أو صاحت :
يبا !. هيا الى الدار ..
يبا !. هيا الى الدار ..
يبا !. هيا الى الدار !!

مطابع واعلانات الشريف

الشاعر

* ولد الشاعر الكبير بجدة عام ١٣٣٢ هـ /١٩١٣م. وتوفى في ١٢ شعبان ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
* تخرج من مدرسة الفلاح بجدة.

* عمل ردحا من الزمن رئيسا لتحرير جريدة (صوت الحجاز) التي أصبحت الآن (البلاد).

* شغل عددا من الوظائف الادارية آخرها مديرا عاما للحج على مدى ثلاثة عشر عاما متوالية.

* آثر التقاعد ، واشتغل بأعمال حرة. ذات طابع فني يتفق وميوله الفنية والأدبية.

* أصدر عددا من الدواوين ، بعضها باللغة العربية الفصحى وبعضها باللهجة العامية .. وهو اللون البلدي الذي استفاضت شهرته فيه .. وقد عرف بقناديله التي بدأها منذ عام ١٣٥٥ هـ وقد ظهرت بعناوين مختلفة، ثم استقرت على عنوانها الأخير (قناديل).

* أصدر عددا من دواوينه الجديدة منها : اللوحات .. الأنهار نقر العصافير .. القناديل .. عروس البحر .. الراعي والمطر